صورة النبي ﷺ في كتابات الحاج مالك سي السنغالي

الدكتور/ محمد نيانغ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة الشيخ أنت جوب-بدكار-السنغال

Email: niangmtn2017@gmail.com

Abstract

The image of Prophet Muhammad (PBUH) is highly revered in the writings of Arab poets and others, capturing their attention and inspiring them to extol his exalted character. Similarly, West African poets have portrayed his image in their works. This paper examines how Sheikh Al-Hajj Malik Sy of Senegal (d. 1922), a prominent West African scholar and poet, depicts the Prophet Muhammad (PBUH) in his writings. It outlines the poet's educational background, cultural upbringing, and some of his intellectual contributions and works. The study also explores the physical and moral attributes of the Prophet Muhammad (PBUH), highlighting some of the miracles granted to him by God and the themes reflecting his image in Sheikh Al-Hajj Malik Sy's poems. The research draws on Hadiths, scholarly interpretations, biographies, and Arab poets' poems to illustrate his unique image and concludes with findings and recommendations.

Keywords: Image, Prophet Muhammad (PBUH), Al-Hajj Malik Sy, Writings

ملخص البحث

حظيت صورة الرسول-ﷺ-بمكانة عليَّةٍ في كتابات الشعراء العرب وغيرهم؛ إذ جذبتهم إلى الحديث عن صورته شخصيته-ﷺ-العظيمة التي نسخت كل شخصية قبله، ولم يتوان شعراء غرب إفريقيا في تجسيد صورته في بطون كتاباتهم ومؤلفاتهم، وجاءت هذه الورقة لتسليط الضوء على صورة النبي-ﷺ-من خلال كتابات الشيخ الحاج مالك سي السنغالي (ت 1922م)-$-أحد علماء غرب إفريقيا وشعرائها، وقد ركزت على التعريف بالشاعر، ونشأته العلمية، وتكوينه الثقافي، وذكر بعض جهوده العلمية ومؤلفاته، ثم تناولت صورة المصطفى-ﷺ-الخَلْقِيَّةَ والخُلُقِيَّةَ، واقفة على بعض معجزاته التي خصه الله بها، والقضايا التي تجسد صورته من خلال قصائد الشاعر، مستعينة ببعض الآثار من الأحاديث، وأقوال العلماء، وأصحاب السِّيَر، وبعض قصائد العرب الذين جسدوا صورته الفريدة في أشعارهم، ثم ختمت الورقة بنتائج وتوصيات.

الكمات المفتاحية: الصورة – النبي-ﷺ-الحاج مالك سي-كتابات

مقدمة

ظل الأدب منذ قديم الزمان ذاكرةً حافظةً للقيم الإنسانية الرفيعة، والمعاني الأخلاقية السامية، التي يُضَمِّنُهَا الكتَّابُ أَعْمَالَهُم الأدبية، فكانوا يتغنون بأصحاب الصِفَاتِ الحميدة التي تبهر الناس، وتؤثر في نفوسهم من المسلمين وغيرهم، ويَتَخيلون شخصياتٍ حقيقةً أو أسطورية؛ ليرسموها صورة حية في آدابهم، فحفلت بذلك دواوين الأخبار والآثار.

ولما بزغ نور النبوة، ومنقذ البشرية جمعاء في جزير العرب–ﷺ–وهو "أعظم شخصيات التاريخ الإنساني، فكان لا بد للأدب من أن يتغنى بالحديث عنها، وكان لا بد للأدب من أن يشيد بها وبفضائلها، ويقدم للناس فيضا من خصائص الإنسان الكامل؛ ليقتدوا بها، وتصفو نفوسهم بتملّيها وشخصية رسول الله–ﷺ–استوجبت المدح من المسلمين وغيرهم؛ لعظمتها وسموها"[1]. فبرز في عصره شعراء تغنوا بصفاته الحميدة، وأخلاقه النبيلة، وحاولوا رسم ملامح شخصيته المتفردة، التي كان لها أثرها البالغ في قلوب محبيه، بل أعدائه، فتحدث عنه بعض قومه الذين لم يسلموا، غير أن خصوصياته الجديدة أخذتهم أخذًا وبيلا؛ فكتبوا عنه، وكان من أوائلهم عمه أبو طالب، والأعشى الميمون، كما كتب عنه أصحابه–رضوان الله عليهم–الذين مُلِئُوا حبه وتوقيره.

وبقيت هذه الصورة النبوية–كما كانت–تنظر إليها الناس نظرات شتى، إلى أن مرت على رسالته قرونٌ عدَّةٌ، فبرز بعض من كتاب الغرب، ما بين منصفٍ له، مُتعجب من إنسانيته، ورسالته العالمية، وبين ساخر هازئ، حاول رسم صورته–ﷺ–بطريقة مخالفة للحقيقة، فكان لا بد من أن تُمْشَقَ أقلام مُنصِفَةٌ، تدون صورته، التي تعد منبعا لن ينضب، يبقى محل دهشة وإعجاب، وكان لأعلام إفريقيا إسهام كبير في إبراز شخصيته، والتغني بصفاته وخصاله، بيد أن أعمالهم الأدبية لم تجد عصبةً أولي بأس شديد في العلم والجد، تكر عليها لنفض ما علق عليها من غبار الإهمال، ولذلك جاءت هذه الورقة لتُسهِمَ في بيان جُمَلٍ من صوره الحقيقة التي ظهرت عندهم، وبالأخص في الديار السنغالية الغربية. بعنوان: (**صورة النبي–ﷺ–عند الشيخ الحاج مالك سي السنغالي**). والشاعر له جهود جبارة في خدمة السيرة النبوية، ونشر تعاليمه–ﷺ–وإبراز صورته بحلة زاهية، إلى كل من يقرأ الحرف العربي. وقد جسَّدَ صورتَهُ–ﷺ–اللائقةَ به في أشكال مختلفة، تارةً بصورة الشعر التعليمي، وحينا آخر بالشعر الغنائي، ولهذا كله؛ رأى الباحث أن هذه الجهود، تستحق دراسة؛ فجاءت هذه الورقة لتسليط الضوء على تلك المجهودات التي لم يتعرف عليها القراء بعد، وقسم الباحث الورقة إلى: مقدمة، وثلاثة مطالب، **المطلب الأول**: مفهوم الصورة لغة واصطلاحا، **المطلب الثاني**: حياة الشيخ الحاج مالك سي، **المطلب الثالث**: صور النبي–ﷺ–في كتابات الشيخ الحاج مالك سي. **وخاتمة وتوصيات**.

المطلب الأول

مفهوم الصورة عن الأدباء والنقاد

تمهيد

ليس من السهل على دارس الأدب أن يحدد مفهوم الصورة ودلالاتها في إطار محدد؛ نظرا لاختلاف المدارس والمذاهب الأدبية في منطلقات فلسفية، واتجاهات فكرية، وخاصة إذا عُلِمَ أن الأدب والنقد مرَّا بمراحل متعددة ومتباينة، جعلت الصورة تتنقل من مفهوم لآخر، منذ العصر الجاهلي إلى يوم الناس هذا. فالصورة عند القدماء من النقاد، غير الصورة عند المحدثين المعاصرين، "وتعود صعوبة تحديد مفهوم الصورة إلى أسباب متنوعة منها: تداول المصطلح في علوم متباينة، واختلاف المذاهب والحركات، والمناهج النقدية التي تدرسه، واتساع الصورة لتعبر عن كثير من جوانب الإبداع الإنساني، وكل ذلك يؤدي إلى صعوبة وضع تعريف واحد محدد"(2)، ومع استعصاء تحديد مفهومها فإن الباحث يحاول أن يعرج على بعض التعريفات التي يتخذها متكأ لإخراج صورة النبي-ﷺ-من كتابات الشيخ الحاج مالك سي، على ضوئها.

الصورة لغة:

تعددت تعابير تعريف الصورة وعباراتها في كتب المعاجم، غير أن كلها تصب في قالب واحد فالصورة "في الشكل... والجمع صُوَرٌ، وقد صوَّرَهُ فَتَصَوَّرَ، وَتَصَوَّرْتُ الشيء توهمت صورته؛ فتصور لي، والتصاوير التماثيل"(3). فيتضح من خلال هذا التعريف اللغوي أن بين الصورة والتصور والتصوير فرقاً بينا، فالصورة في الشكل الماثل حِسًّا أو معنى، وأما التصور فهو "مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها، ثم اختزنها في مخيلته مروره بها يتصفحها"(4)، فاتضح من هذا أن التصور أمر عقلي فكري، يستحضره الإنسان في مخيلته، حسنا أو معنى.

وأما التصوير فهو تجسيد الصورة، وإبرازها إلى الخارج في إطار فني مفهوم، فالتصوير أمر شكلي، لا بد فيه من صنعة إبداعية يقوم بها الْمُصَوِّرُ، فـ "الصورة إحدى ظواهر الطبيعة، وهي إما حقيقة، أو خيال، والتصور مرور الفكر بهذه الحقائق، يتصفح صورها، والتصوير إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني، فالتصور إذن هو العلاقة بين الصورة والتصوير، وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان"(5). قال ابن الأثير: "الصورة تَرِدُ في كلامِ العرب على ظاهرِها وعلى معنى حقيقةِ الشيء وهَيْئَتِه على معنى صفته، يقال: صورةُ الفعْل كذا وكذا: أي هيْئَتُه، وصورة الأمرِ كذا وكذا: أي صِفتُه"(6). وقد يراد بالصورة الوجه من الإنسان أو الهيئة من شكل وأمر وصفة.

ويخلص الباحث من خلال هذه التعريفات إلى أن لفظ الصورة يدور حول مفهوم الشكل، والهيئة، سواء كان ذلك محسوسا، أم معنويا، أم مرئيا.

الصورة اصطلاحا:

حظي مصطلح الصورة باهتمام البلاغين والنقاد قديماً وحديثاً، لكونها ركنا أساسا من أركان اكتمال عملية بنية الشعر العربي، وعنصرا مهما من العناصر التي يستند إليها الشاعر أو الكاتب الأديب لبث تجربته الأدبية من خلالها، كما أنها أيضا أداة الناقد التي يستصبح بها لسبر غور تجربة الشاعر، وخصوبة شاعريته من نضوبها، فاتجهت آراؤهم في تعريفها إلى وجهات متعددة.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "واعلم أن قولنا: الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان بينُ إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تَبَيُّنُ خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونةً في عقولنا وفرقا؛ عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا للمعنى في هذا: صورة غير صورته في ذلك، وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير"[(7)].

يتجلى من خلال تعريف الجرجاني، أن الصورة هي مدار الفضيلة في الكلام، فالشاعر قد يتفق مع شاعر آخر في المعنى فيفضل الواحد منهما على الآخر في الصورة التي رسمها لإخراج مرماه في صورة شعرية متفردة، بألفاظه الخاصة، وعباراته الفريدة.

فالصورة عند القدماء يتبين أنها محصورة في التشابيه والكنايات والاستعارات والفنون البلاغية التي تعد أريج العمل الأدبي الذي تتضوع من خلاله النفحةُ الإبداعية المنشودة في كل عمل أدبي.

وأما الصورة عند المحدثين فقد تعددت حدودها، ولا يكاد النقاد يتفقون على تعريف واحد، وهي عندهم "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات، ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة، وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس، وغيرها من وسائل التعبير الفني... والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية"[(8)]. وهذا لا يشط عن التعريف الأول في كونه أدخل الجوانب البلاغية المتعددة، غير أنه يختلف مع الأول في أنه أدخل الجوانب العروضية التي تتكون منها الموسيقى الخارجية المحدثة إيقاعات متساوقةً تُمِدُّ النص الأدبي طاقات كبيرةً من التناغم والأنساق الموسيقية المطربة. وعليه فقد أصبح مفهوم

الصورة "يشمل كل الأدوات التعبيرية مما تعودنا على دراسته ضمن علم البيان، والبديع، والمعاني، والعروض والقافية، والسرد، وغيرها من وسائل التعبير الفني"[9].

والصورة هي: "واسطة الشعر وجوهره، وكل قصيدة من القصائد وحدة كاملة، تنتظم في داخلها، وحدات متعددة هي لَبِنات بنائها العام، وكل لبنة من هذه اللبنات تشكِّلُ مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه"[10]. ويرى آخر أنها هي "الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته، وعاطفته معا إلى قرائه، أو سامعيه، تدعى الصورة الأدبية، أو الصورة الفنية"[11]. فهي أداة يستعملها الشاعر للتعبير عما في خواطره من أفكار، فيخرجها في مشهد يجسده الخيال، ويتلمسه الواقع.

"والصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر –أعني خواطره ومشاعره وعواطفه– المطلق لعالم المحسات؛ ليكتشف عن حقيقة المشهد، أو المعنى، في إطار قويٍّ نامٍ مُحِسٍّ مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"[12].

واضح أن الصورة الشعرية لا ترتكز فقط على التشبيهات والاستعارات وغيرها، بل فيها الرموز والإيحائية التي تسيح في فضاءاتها الواسعة خيالات الشاعر، وتتقوى بقوة عواطفه؛ فتخلق صورة شعرية متفردة، أو تضعف ببرودة المشاعر فتخرج الصورة هَشَّةً خفيفة لا طاقة شعرية فيها.

ويمكن الاعتماد على أن الصورة عند البلاغيين تنقسم إلى عدة أقسام: الصورة التشبيهية، والاستعارية، والكنائية، وكلها وليدة الخيال والعاطفة، اللذين ينطلق منهما الشاعر أو الأديب ليرسم صورته التي يريدها في نصه، بعد أن استعمل هندسته اللغوية التي تجسد إطار الصورة؛ فيضعها أمام القارئ أو المستمع، وهي مكتملة مقبولة.

المطلب الثاني

حياة الشيخ الحاج مالك سي

أولا: مولده:

اتفقت الروايات الشفوية والتحريرية على أن اسم المترجم له: "مالك سي بن عثمان سي بن معاذ (تفسير دمب بونا سي) بن محمد بن علي بن يوسف بن درمان بن سيري بن بوبو بن شمس الدين بن يحيى القلقمي"[13]، وأبوه عثمان فكان "من الذين لهم حظ في العلم، وحظ في الشجاعة، كان عالما، وكان شجاعا، وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره، وكان من أجمل أقرانه لا يشغله إلا ما يشغل أهل الفضل من الدين والصلاح"[14]. وقد توفي قبل ولادة الطفل بشهور، وهو يدافع عن حمى الأسرة وذمارها–رحمه الله–.

أما أمه فهي: "فاطمة واد وِلِي بنت بكري ولي بن درمان"[15]، من قبيلة ولوفية انحدرت من مدينة (جلف) إلى منطقة (واله)، و"كانت من النساء اللاتي لا يستطعن أن يَكُنَّ تحت ظلِّ كُلِّ رجلٍ، بل كانت من اللاتي يرين الصلاح والإحسان أكثر مما يرين المال"[16]، وقد كانت امرأة صالحة متحلية بالأخلاقية الإسلامية النبيلة، متخلية عن كل الخصال الرذيلة، وبذلك صارت تضرب بها الأمثال في الأصقاع السنغالية في الصلاح والعفاف.

أما تاريخ ولادته فقد كثر فيه الخلاف، تقول الروايات التحريرية إنه ولد "بعد وفاة والده بشهور في قرية (غاية) عام 1278هـ-1855م، ويصادف أول هجوم استعماري على واله تحت قيادة فيدرب 1855م"[17]. وقيل: إنه –رحمه الله–ولد عام 1853م[18].

وأما الروايات الشفوية فتقول إن ولادته كانت في عام 1842م[19]، وقيل: عام 1847م وقيل: 1845م[20].

والباحث يرى –كما يرى غيره[21]–أن الأشهر أن ولادته كانت عام 1853م، والأرجح 1855م، على ما قررته الروايات التحريرية؛ إذ إن الروايات الشفوية التي لجأ إليها بعض الباحثين لم تحدد تاريخ الولادة، وإنما اعتمدت على معايير تاريخية تقليدية كانت سائدة في مجتمعهم، وعلاوة على ذلك فالأخذ بالمقيد أولى من الأخذ بالمطلق المرسل.

ثانيا: نشأته العلمية

ولد الشيخ الحاج مالك سي–رحمه الله–يتيما، لم يشاطر والده الحياة الأبوية، لكنه حظي بأم رؤوم، اعْتَنَتْ به كما تعنى الأم بولدها. ولما بلغ السابعة من عمره، ورأى أعمامُه أن أمه تحتاج إلى كثير من المساعدة لتربية ابنها؛ فَكَّرُوا فِي تَوَلِّي تربية الولد وتعليمه، لكن هذه الفكرة في الوهلة الأولى لاقت رفضا من قبل أقارب الأم، فاشتعلت بين الفريقين نار الخلاف؛ لأنهم لا يريدون أن يَغْرُبَ الولد عن عيونهم إلى أراضٍ شاسعة ونائية؛ لأن ذلك–في نظرهم–يشكل خطرا للولد، "ولأن ذلك غض من القيمة، وطعن في الكرامة، بل إهانة للنفس"[22]، بينما الأعمام يرون ويدركون أن بُعْدَه عن الأهل هو الرأي الصائب في تلك اللحظة، فاجتمعوا في منطقة (جلف) التي كان قد انحدر منها الوالد والوالدة؛ ليتدارسوا الأمر بالجدية، وهناك لجأوا إلى أمه الكريمة؛ لتكون كلمتها هي الفصل بين الفريقين، "فقالت وهي في غاية الاطمئنان: ما أطيب بقاء ولدي عندي، ولكني أختار له أن يذهب إلى أعمامه، فليذهب معهم، ولتكن تربيته في دار أبيه المرحوم، وبين يدي جده الكريم"[23]، فهناك انتقل الولد إلى عمه أحمد سي، وخاله محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن، المشهور بألفاهم مايرو وِلِي، فشرع يقرأ القرآن على خاله المذكور، ولما بلغ العاشر من عمره أو الحادي عشر توجه إلى "سِينْ جُلُوفْ من دعوة عمه أحمد سي، عن طريق وَفْدٍ أرسله، وعلى رأسهم

لَيْتِي كُمْبَ سِيكَ، أقام عندهم مدة، ثم لاحظ عمه شوق الشيخ الحاج مالك سي بالرجوع إلى غاية؛ لمواصلة دراسته، فأذن له بالرجوع لهذا الغرض"[24]، وهناك واصل دراسته وبدأ بقراءة مختصر الأخضري على يد خاله المذكور. ثم أخذ "دراسة القراءات القرآنية ومادة التجويد"[25] على الشيخ أبو بتي.

وقد قام الشيخ بجولات استغرقت فترة من الزمن في بلاد السنغال لتلقي بعض الكتب المقررة في الحلقات والخلوات السنغالية وقتئذ، ثم رجع إلى مسقط رأسه (غاية) حاملا في جوفه علما غزيرا. وقد طاف في البلاد السنغالية سنوات طوالا، تمكن من خلالها أن يجالس كثيرا من علماء البلاد، وكان نتاج تلك المشقات التي كابدها الشيخ سنوات طوالا، أن "تبوأ مقعد عمادة الفقه، واللغة والأدب، وعلوم السيرة مدة حياته، لم ينازعه فيه أحد، وكان بحق عميد الفقهاء"[26]، فقد كان–رحمه الله–"رئيس الأكاديمية في العلوم والمعارف الإسلامية في السنغال كلها"[27].

ولما بلغ مبلغا من العلم والمعرفة، وتبوأ مكانا علياً، وأدرك يقينا ما تمر به بلاده وشعبه من جهل بالمبادئ الشرعية، تربع على كرسي التعليم والتربية، لاكتناهه أنه: "يعيش في مجتمع مقبل على الإسلام يغلب عليه الجهل حتى بأساسيات هذا الدين الحنيف، فلذلك أعطى الأولوية لتعليم الناس شؤون دينهم التي لا يصلح العمل دون معرفتها"[28]، فقد كان يجمع بين العمل في الحقول والتدريس، فأقبل عليه الطلاب من كل فَجٍّ وصوب، وكان التلاميذ يأخذون عنه في النحو والصرف "الآجرومية، وملحة الإعراب، ولامية الأفعال، وألفية ابن مالك، وفي الفقه رسالة ابن أبي زيد، ومختصر خليل، وفي الأدب المعلقات، وبعض دواوين شعراء الإسلام، وفي المنطق السلم للأخضري"[29] وغيرها من الكتب المقررة في الخلوات السنغالية وقتئذٍ، وقد مكث ثلاثين سنة في التدريس لم يفارق مجلسه العلمي.

فقد كان على هذه السنة (الجمع بين التدريس والعمل) حتى تخرج على يديه علماء أفذاذ، صاروا أعلام البلاد، وفقهاءها، وكان من عادته أن يبعث الطلاب الذين بلغوا من العلم شأوا بعيدا، ونهلوا من مناهله ما يؤهلهم للتربع على كرسي التعليم والتربية والإرشاد، إلى أماكن شتى لبسط راية التعليم، وقد بعث كثيرا منهم إلى بعض الأقطار السنغالية؛ لينشروا فيها العلم الشرعي، والأخلاق الإسلامية النبيلة، ولذلك كان روَّادُ ثلث زوايا البلد من تلاميذه وأتباعه.

ثالثا: بيئته وعصره

عاش الشيخ الحاج مالك سي–رحمه الله–، في بيئة سياسية، مكتظة بالروافد العلمية كما كثرت فيها المخالفات والمغالطات الشرعية.

أما من الناحية السياسية، فقد كان الاستعمار قد ألقى عصاه في المنطقة منذ أمد بعيد قبل ولادة الشيخ، التي صادفت أول هجوم استعماري في منطقة والو التي انحدرت منها أمه، وكان يقول–رحمه

الله–: "إن والدتي فاطمة واد ولي كانت تقول لي: يا ولدي يوم ولادتك لا ينسى أبداً؛ لأنه تزامن هجوم الفرنجة على مجموعة "تيدو" في أرض والو"[30]، ولما نبغ في العلم وتربع على كرسي التدريس، وبنى زاوية في منطقة اندر بعد رجوعه من الحج، بدأ الناس يفدون إليه من كل حدب وصوب، وكثر أتباعه وتلاميذه، وطفقوا يتجمعون في الزاوية لتلقي العلم، وأداء الأوراد والوظيفة التجانية؛ لفت ذلك أنظار المستعمرين الحاقدين، فبدأوا يتشككون في أمره، ويتربصون به الدوائر، ويلفقون ضده تهماً وافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان، ظنا منهم أن الكلمات الإلهية الْمُرَدَّدَةَ في تلك الزاوية بكرة وأصيلا إنما هي استعداد لشن الهجوم عليهم.

وقد استدعته الحكومة بالحضور مرات، ثم أُطْلِقَ سراحه بعد حوارات مع المستعمرين إطلاقا مقيدا، يجعله يخضع للمراقبة الاستعمارية في منطقة اندر العاصمة الأولى للسنغال، ريثما يصدر القرار النهائي في شأنه، وبعد ردح من الزمن، أصدر الحاكم من الجمهورية الفرنسية بيانا يضم في طياته أن الشيخ مسموح له بأن يمارس نشاطاته الدينية والتعليمية، في كل البقاع السنغالية، "وكانت العيون مسلطة على نشاطاته وترقبه، وتترصد حركاته، وتلتقط كلماته وأنفاسه"[31]، لكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فكان يسهر على نشر الإسلام، وتوطيد دعائمه، ونشر أعلام الطريقة التجانية في البلاد، إلى أن استقر في مدينة تواون مقره الأخير. فكان هذا المنحى الذي انتحاه منهجا استراتيجيا سلميا؛ لأنه كان يرى "أن تحرير البلد من الاستعمار لا يكون بالنار والبارود بقدر ما يكون بالعلم والإيمان، هكذا اقترب إلى أماكن إقامتهم وأراهم أنه لا يخفي شيئا عليهم، إذ هو بين (المسجد، والبستان، والمحضرة) وسلاحه سبحته ومصحفه، وكتبه التعليمية، إنه يبذر بذرة جيدة، في أرض طيبة ستؤتى أكلها بإذن ربها قريبا، ويومها سيرحل المستعمر بحول الله تعالى"[32].

علاوة على هذا فإن هذه البيئة كانت تكتظ بعلماء جهابذة، وقد اتضح ذلك من خلال ما سبق، إضافة إلى أن البيئة قد طغت عليها الوثنية، وحاقت بها المخالفات الشرعية، والعادات والتقاليد غير الإسلامية، فكان هم الشيخ الوحيد أن يسعى جاهدا في نزع ما يجري في شرايين القوم من الأخلاق الوثنية والجاهلية، لكنه لاقى ما لاقى من العداوة والبغضاء التي بدت بينهم، لكنه بحكمته وحنكته كان يقول لأتباعه الذين وجد فيه روح المحبة والمودة: "لا تدخل هذه الهفوات في قلوبكم شيئا، إذا سمعتم أحدا يذمني، أو يطلق علي من القبائح ما شاء، فلتقرأوا لي دعاء الخير، وخلوا بينه وبين سبيله، فإن الفتنة لا توجب إلا الفتنة، وإن من حسن الأخلاق احتمال أذى الأخلاق"[33]، وهذه المخالفات الأخلاقية غير الشرعية جعلت الشيخ يفكر في تجديد أسلوب خطابه الدعوي، ولذلك تجده في كتاباته ومؤلفاته–بين الفينة

والأخرى–ينوه ويشيد بضرورة الالتزام والاعتصام بعروة الشريعة الإسلامية الوثقى، ويظهر ذلك جليا لمن يمعن في قراءة آثاره المتمثلة في جهوده العلمية.

رابعا: ثقافته

مما سبق سرده يمكن أن يستخلص الباحث أن المترجم له–رحمه الله–تشبع بجرعات نامية، وحسوات عذبة من الثقافة الإسلامية النبيلة، من فقه وأدب... فكان "يتمتع بقدر عال من الثقافة الإسلامية والأخلاق الفاضلة التي كانت مفخرة للعلماء في زمانه"[34].

فقد أقبل–بكل حرص–على ملازمة علماء عصره الذين استقى منهم ثقافتَه الواسعةَ، أمثال خاله (ألفاهم مايرو) الذي تولى تربيته والعناية به، وغيره من العلماء، وكانت رحلاته العلمية من أهم العوامل التي أسهمت في تغذية ثقافته وذخيرته العلمية، حيث إنه كان يلاقي كثيراً من العلماء الأجلاء في جولاته التحصيلية، وخاصة في طريقه إلى حج بيت الله الحرام، فقد مر بمصر وجالس علماءها، وجاذب معهم أطراف المناظرة والمباحثة، حتى قال عنه عبد العزيز مفتي الديار المصرية في المدينة الإسكندرية وقتئذ: "جمع الله فيك من العلوم ما لا يجدر بك الانصراف بها إلى بلد صغير بالنسبة لمصر"[35].

وليس من قبيل المبالغة في شيء إن قال الباحث: إن الشيخ الحاج مالك–رحمه الله–أخذ هذه الثقافة الواسعة من رياض القرآن الكريم، ومعين السنة النبوية الغراء، وكما أنه نبغ في الفقه المالكي نبوغاً عجيباً، فقد درس الكتب الفقهية المالكية المقررة في الخلوات السنغالية، وإن تعجب فعجب أنه تشبع بالأدب العربي الرصين الذي ظل الشيخ يتشبث به، ويرتع في مراتعه الخصبة، ويستقيه من مظانه الأصلِ، فقد تلقى جميع الكتب الأدبية المدروسة حينئذ في البقاع السنغالية مثل الكتب التي ذكرت سابقا، وكان الشيخ يضرب أكباد الإبل إلى أقاصي البلاد ليتزود بما يستطيع به إخراج الأمة السنغالية من ويلات الجهل والخرافات، إلى خيرات العلم والمعرفة.

وتنضاف إلى هذه الثقافة ثقافة أخرى محضة، وهي الثقافة الصوفية التي عليها تربى وسار إلى أن لقي ربه، فخاله الذي تلقى منه أول مبادئ الإسلام وتعاليمه الأولى كان مُقدَّماً في الطريقة التجانية؛ فقد "أخذ الورد عن الشيخ سيدي الحاج عمر الفوتي عن الشريف سيدي محمد الغالي عن القطب الأكبر والغوث الأشهر، والكبريت الأحمر سيدي الشيخ أحمد التجاني الشريف رضي الله عنهم أجمعين"[36]، وخاله هذا أول من أعطاه الورد التجاني وأجازه وعمره آنذاك 18 سنة[37]

ولما تضلع في العلوم الإسلامية والعربية تاقت نفسه إلى ملاقاة فحول الطريقة التجانية؛ ليزداد بهم ومنهم رسوما وفهوما، فكان أول من لقيه الشيخ محمد عالي اليعقوبي الموريتاني، فأجازه الشيخ.

وبعد أن أخذ الشيخ الورد التجاني وجمع بين الفقه والتصوف حَدَتْ به نزعتُه الإسلامية الصوفية إلى نشر أعلام الطريقة التجانية، مصحوبة بتعاليم الشريعة المحضة؛ لأنه لم يكن "بدعا من المتصوفة من حيث الالتزام بالكتاب والسنة"[38] فشهدت به سوق الطريقة التجانية في القطر السنغالي رواجا مذهلا لم يكن له مثيل سابق في تاريخ السنغال، ومرد ذلك مرونته في التعامل، والاستراتيجية التي اتخذها وسيلة لمناضلة المستعمر الفرنسي في الجهاد السلمي.

خامسا: آثاره العلمية والأدبية

مما لا يغيب عن ذي خلد متصفح لحياة الشيخ الحاج مالك سي–رحمه الله–أن جولاته التحصيلية التي ضرب فيها أكباد الإبل، واختلافاته إلى أقاصي المجالس والحلقات العلمية قد أورثته روافد علمية ثقافية غزيرة، شهد له بذلك معاصروه.

وقد كان نتاج هذه المحصلة العلمية أن ترك الشيخ–رحمه الله–بصمات علمية واضحة، وخلف للأمة الإسلامية عامة، وللسنغالية خاصة مؤلفات ومصنفات ضخاما، أسهمت في إثراء التراث العلمي والأدبي في السنغال، وزخرت بها المكتبات العربية والأدبية السنغالية، فقد أمضى كل حياته في التدريس والتربية، ومحو خلية الجهل من خريطة المجتمع السنغالي، وترسيخ القيم والتعاليم الإسلامية في أذهان الشبان والأشياخ، كما أنه أبلى في مباحثة علماء عصره الأجلاء بلاء حسنا، الأمر الذي يدل على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، ورسوخ قدمه في الفقه والأدب واللغة وغيرها من الفنون والعلوم التي كانت سائدة في عصره. وقد جمعت مؤلفاته على كتاب ضخم في سبعة مجلدات سمي بـ: (**مجمع الكنوز العلمية، والمعادن العرفانية**)، ضم مجموعة من الكتب والمؤلفات، من أهمها: (**كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين**)، وهو كتاب في الفقه والتصوف. وقد جمع مسائل عدة. و(**خلاص الذهب في سيرة خير العرب**)، منظومة في سيرة المصطفى–ﷺ–. **و(الكوكب المنير)**، أرجوزة في الميراث. **و(هداية الولدان)** أرجوزة في العقيدة الأشعرية. و(**قنطرة المريد**)، أرجوزة في آداب المتعلم. و(**الجواهر الكافية في علمي العروض والقافية**)، **و(إحدى الحسنيين في علمي العروض والتصوف)**. وغيرها من المؤلفات المهمة.

سادسا: وفاته ورثاء العلماء له

قضى الشيخ الحاج مالك–رحمه الله–عمره في خدمة العلم والإسلام، وإرشاد العباد، إلى سواء الصراط، إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء/2/ذي القعدة/1340هـ الموافق لـ 27 يوليو سنة 1922م في تواوون، وبها دفن–رحمه الله رحمة واسعة–وقد رثاه عدد من الشعراء السنغاليين والموريتانيين، لا يسع المقام لذكر قصائدهم.

المطلب الثالث

صورة النبي–صلى الله عليه وسلم ﷺ –عند الشيخ الحاج مالك سي

إذا كان الشعراء القدامى أعاروا اهتماما للصورة الفنية كبيرًا، فإن شعراء المديح النبوي لم يهتموا بها كثيرا في أشعارهم، ذلك أن الشخصية التي وجهوا إليها أنظارهم وأفكارهم ليست خيالية، بل إنما صفاتها ومناقبها كلها واقعية، أثبتتها النصوص، وشاهدتها العيون، فلم تكن للشعراء براحات واسعة يسيحون فيها لتجسيده–ﷺ–في صورة خيالية لم يسبق لها مثيل، تعلوها مبالغات تخرجه من حيز الحقيقة، إلى هوة الخيال والتوهم، ولذلك كانت غايتهم القصوى "إرضاء شعورهم الديني والتعبير عن إعجابهم بشخص الرسول الكريم، ومن هنا لم تكن محاولة التأنق في القصائد المدحية، أو اختلاب الممدوح ببريق الصنعة، وإنما كانوا يدعون أنفسهم على سجيتها تعبر عن شعورهم إزاء الممدوح بأسلوب تتجلى فيه البساطة، ومجانبة الغلو المسرفة"[39]؛ فتخرج صورته–ﷺ–الحقيقية في مرايا أشعارهم وكتاباتهم واضحة جلية لا إفراط فيها ولا تفريط

والقارئ لكتابات الشيخ الحاج مالك سي السنغالي، وأشعاره يجد شخصية النبي–ﷺ–حاضرة حضورا كثيفا، تتناثر فيه صفاته الخلقية، وخصاله الخلقية، ومعجزاته وغزواته، بصور مختلفة، وليتجلى ذلك لا بد من الوقوف على كل محطة بدءا من صفاته الخَلْقِيَّة، وانتهاء إلى غزواته.

أولا: صورة النبي–ﷺ–الخَلْقِيَّةُ:

المراد بالخلقية صورة الإنسان الظاهرة كالبياض والطول والشعر، والناظر لأشعار الشيخ الحاج مالك سي يجده يركز على جوانبه الخَلْقِيَّة منذ أن كان–ﷺ–في عالم الشهادة، إلى أن ظهر في عالم الوجود، غير أنه فصَّل أكثر عن صفاته الخَلْقِيَّة بعد ولادته–ﷺ–فلمح إلى نوره الذي يضاهيه نورُ البدر، بل نورُ الشمس المضيئة، فيقول: من [البسيط]

وَوَجْهُ خَيْرِ الْوَرَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ مِنَ التَّلَأْلُؤِ بَدْرٌ فِي دُجَى الظُّلَمِ

كَأَنَّمَا الشَّمْسُ تَجْرِي فَوْقَ صَفْحَتِهِ وَفِي الأَسِرَّةِ يَجْرِي رَوْنَقُ الْعِظَمِ

قَلِيلُ تَدْوِيرِ وَجْهٍ لَيْسَ كَلْثَمَةً وَالطُّولُ فِي الْوَجْهِ يَا وَصَّافَةَ السِّيَمِ

مِنْ نُورِ عِرْنِينِهِ قَدْ ظَنَّ نَاظِرُهُ إِذَا تَعَجَّلَ أَنْ قَدْ حَازَ مِنْ شَمَمِ[40]

واضحة من خلال الأبيات هذه الصورة التي رسمها الشاعر للنَّبي–ﷺ–في تشكيل هيكل جسمه الطاهر، ووجهه الشريف، وما يتلألأ فيه من نور متفرد، يختص به–عليه السلام–دون غيره من البشر،

وليست الصورة من الشاعر خيالية متصنعة، وإنما هي مستقاة من أحاديث شريفة، "عن عائشة–رضي الله عنها–قالت: كنت قاعِدَةً أغزِلُ والنبي–ﷺ–يَخْصِفُ نَعْلَهُ، فجعَلَ جَبِينُهُ يَعْرَقُ، وَجعل عَرَقُهُ يَتَوَلَّدُ نورًا؛ فَبُهِتُّ، فَنَظَرَ إِلَيَّ رسول الله–ﷺ–فقال: مالك يا عائشةُ بُهِتِّ؟ فقلت: جعل جبِينُكَ يَعْرَقُ، وجعل عَرَقُكَ يَتَوَلَّدُ نُورًا، وَلَوْ رآكَ أَبُو كَبِيرٍ الْهُذَلِيُّ لَعَلِمَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِشِعْرِهِ، قال: وما يقول أبو كبيرٍ؟ قالت: قلتُ يقول: **[الكامل]**:

وَمُبَرَّأٌ مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءٍ مُغْيِلِ

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسِرَّةِ وَجْهِهِ بَرَقَتْ كَبَرْقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

قالت: فقام إليَّ النبيُّ–ﷺ–وقبَّل ما بين عَيْنَيَّ، وَقَالَ: جزاكِ اللَّهُ يا عائشةُ عَنِّي خيرًا، ما سُرِرْتِ مِنِّي كَسُرُورِي مِنكِ"[41]. وقد "سُئِلَ الْبَرَاءُ: أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ–ﷺ–مِثْلَ السَّيْفِ قَالَ: لاَ، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ"[42]، ومثل هذا التشبيه في هذين الحديثين ما جعل شعراء المديح يصورون النبي–ﷺ–كالبدر أو كالقمر، أو كالشمس، وهو أمر سائد في قصائد الشيخ الحاج مالك سي، حتى إنه كثيرا ما يكتفي بذكر البدر، أو الدر، عن ذكر اسمه.

هذا، وإن الدارس لأمداح الحاج مالك سي النبوية، تتراءى له من خلالها نسخٌ أخرى من صُوَرِهِ الخَلقية–ﷺ–التي أثبتتها كتب الأحاديث والسير، فمن ذلك قوله من **[الكامل]**:

وَصَبِيحُ صُبْحٍ فَخْرُهُ مُتَأَثِّلٌ مِنْ آلِ بَيْتٍ مُصْطَفَيْنَ كِرَامِ

وَضَلِيعُ فَمٍّ ثَغْرُهُ كَبُرُوقِ اَوْ حَبِّ الْغَمَامِ لَدَى ابْتِدَاءِ بَسَامِ

إِبْرِيقُ سَامٍ عُنْقُهُ قُلْ عَرْقُهُ كَلَئَالِئٍ بَلْ فَوْقَهَا بِمَقَامِ

وَمُرَجَّلٌ سِبْطُ الْعِظَامِ مُطَيَّبٌ وَكَأَنَّ فِي الْعِرْنِينِ وَصْفَ شَمَامِ[43]

هنا يقف الشاعر عند أجزاء وجهه الشريف–ﷺ–؛ ليجسد منها صورة حقيقية، من خِلْقَتِهِ التي فطره الله عليها، فوصف فمه بالسعة اللائقة بشخصيته الشريفة، التي ليست بالشين، كما كشف حقيقة ثغره الذي يضاهي البرق لَمَعَاناً، أو البَرَدَ بياضاً ونصاعةً، وعرج على توصيف عُنقِهِ الذي كالفضة، ولعل هذا المعنى مأخوذ من وصف الحسين بن علي للنبي–ﷺ–: كأن عُنَقَهُ جِيدُ دميَةٍ، في صفاءِ فضةٍ. ويقول في موضع آخر موضّحاً صورة كفه الناعمة اللينة من **[البسيط]**:

وَلاَ الْحَرِيرُ وَلاَ الدِّيبَاجُ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ الرَّسُولِ طَوِيلَ الزَّنْدِ لاَ تَصِمِ[44]

هذا الوصف الدقيق لكفه الشريفة–ﷺ–مرْوِيٌّ "عن أنس بن مالك–رضي الله عنه–قال: خدمت رسول الله–ﷺ–عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ قَطُّ، وما قال لشيء صنعته: لِمَ صنعتَهُ؟ وَلاَ لشيء تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله–ﷺ–من أحسن الناس خَلْقًا، ولا مَسِسْتُ خزًّا ولا حريرًا، ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله–ﷺ–، ولا شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ، ولا عِطْرًا كان أطيب من عَرَقِ رسول الله–ﷺ–"[45].

ثانيا: صورته الخُلُقِيَّةُ

جبل الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا–ﷺ–على جملة من الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، التي تعد فيضا دفاقا يقطر كرما، وشجاعةً، وحُبًّا وسماحةً، غَمَرَ العالم بأسره، فاتخذ الناس أخلاقه موسوعة شاملة يتصفحونها ويجعلونها خريطة يستمدون منها ما يصلحون به دنياهم وأخراهم.

وكان لزاما على البشرية جمعاء أن يدرسوا سيرته وأخلاقه، لأنها "المثل الأعلى لجميع المسلمين، الأمر الذي يبعث على ضرورة بيانها؛ لأنها كانت عاملا مهما في كسب ثقة المسلمين، ونشر دين الله، وجمع كلمة المسلمين، وتأليف قلوبهم، إذ إن كل صفة من صفاته–عليه الصلاة والسلام–تحمل بين طياتها أسرارا جميلة، ومعانِيَ جليلةً"[46].

وقد تجلت تلك الأخلاق والصفات الحميدة في أشعار الشيخ الحاج مالك سي، فتارة يصرح بها مباشرة كما ورد في الآثار، وأخرى، يلمح بألفاظ تحمل في طياتها جُمَلاً كثيرة من المعاني، يقول: من **[الوافر]**:

مَتَى مَا دَانَ بَحْرُكِ مِنْ كُدُورٍ فَصَافٍ سَلْسَلٌ بَحْرُ الأَمِينِ

نَبِيٌّ عَبْقَرِيٌّ أَرْيَحِيٌّ صَفِيُّ اللَّهِ ذُو خُلُقٍ بَيُونِ[47]

من خلال هذين البيتين يحاول الشاعر أن يرسم صورا متعددة من أخلاقه وصفاته الحميدة–عليه السلام–فالصورة الأولى رسم فيها الشاعر النبي–ﷺ–وجعله بحرا متلاطما من الخصال الحميدة التي يحتاج إليها العالم، من أي النواحي أتاها، وكأنه حصر كل أخلاقه الكريمة في عبارة **(صاف سلسل بحر)**، ثم لمح إلى خلق أصيل قبل أن يختاره الله نبيًّا، وهو الأمانة المتوجب على كل حامل رسالة سماوية الاتصافُ بها قال تعالى: **{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}**[48]، وأكثر المفسرين على أن (الأمين) هو محمد–ﷺ–وقال–عليه السلام–:"وَاللَّهِ إِنِي لأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الأَرْضِ"[49]، حتى إن أهل مكة من المشركين وصفوه قبل بداءة الوحي بالأمين، "ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم، فإذا بالنبي–ﷺ–داخل، وذلك قبل نبوته فقالوا: هذا محمد؟ هذا الأمين قد رضينا به"[50].

وهذه الأمانة كانت سببا في إنقاذ البشرية من ظلمات الجهل والضلال، إلى أنوار الهداية والسعادة، لمن اتبع ما جاء به-ﷺ-. ولذلك وصفه الشاعر في قصيدة أخرى بأنه السعادة الكبرى، والأمانة العظمى، والمكانة العليا، والمفازة الجُلَّى، لمن تَرَسَّمَ خطاه، فقال من **[الكامل]**:

هُوَ سِرُّنَا هُوَ نُورُنَا هُوَ مَجْدُنَا وَهُوَ الْمُشَفَّعُ عِنْدَ يَوْمِ خِصَامِ

وَسَعَادَةٌ وَأَمَانَةٌ وَمَكَانَةٌ وَمَفَازَةٌ غُنْمٌ وَخَيْرُ إِمَامِ(51)

والصورة الثانية جسد فيها الشاعر النبي-ﷺ-في صورة راقية، حيث وصفه بالسيد العبقري الذي كلُّ ما يأتي به من أفعال، وأقوال تكون فوق ما يُتَصَوَّرُ من دقة، وعَظمة، وهذه العبقرية هي التي جعلته-ﷺ-يملك قلوب ملوك الدنيا جميعاً، ويقود العالم بأسره، بأخلاقه المثيلة، وحكمه الرشيد الذي لا يعرف الجور والظلم، فأصبحت شريعته الظلَّ الظَّلِيلَ الَّذي تلتجئ إليه البشرية جمعاء، إذا حزبهم أمر، أو خنقهم ضر، وإن لم يكونوا مسلمين مؤمنين.

وقد كانت هناك مواقف عدة مع غير المسلمين من أهل المدينة وخارجها، تمثل هذه العبقرية النبوية الفذة المشار إليها في قول الشاعر، "فالرسائل الموضوعية التي أرسلها للملوك في العالم، فالسمة العامة في جميع الرسائل هي الدعوة الحسنة إلى الدخول في الدين الذي جاء به دون وعيد أو تهديد، ثم هذا التواضع الشديد من النبي عند توقيعه للرسائل، فلم يكتب أنه ملك المسلمين، أو عظيم الجزيرة العربية مثلا، وإنما كان يوقع على الرسائل بعبارة "محمد عبد الله ورسوله"(52)، والرسالة التي أرسلها إلى المقوقس حاكم مصر خير دليل على ذلك. ولا شك أن هذه العبقرية التي تعامل بها مع أهل الكفر والضلال، ما جعلهم أكثر يدخلون إلى الإسلام، مؤمنين بأن شخصيته-ﷺ-خالية من أمارات ادعاء الملك والسلطة والجاه.

وقد جسد الشاعر الصورة الثالثة، حيث وصفه-عليه السلام-بأنه صفي الله، ذلك الاصطفاء الإلهي الذي يقتضي انتفاء النقائص والعيوب الظاهرة من شخصيته الكريمة، فلا يمكن للعقل البشري مهما حاول أن ينال منه، أو ينقص من قدره، ورتبته؛ لأن الله اجتباه واختاره وأخلصه.

وكثيراً ما يُجْمِلُ الشاعر أخلاق النبي-ﷺ-وخصاله الحميدة، رابطاً ذلك بأحداث سيرته العطرة، ومعاملته مع أصحابه-رضوان الله عليهم-، وإنما يفعل ذلك، ليقود الدارس إلى تتبع آثاره، وحياته-عليه الصلاة والسلام-، فيحفظها نثرا وشعرا، يقول من **[البسيط]**:

وَحَازَ مَا جَازَ لَكِنْ لَا يُمَاثَلُ مِنْ تَوَاضُعٍ وَخُشُوعِ الْقَلْبِ وَالرَّتَمِ

مِنْ كُلِّ وَصْفٍ حَمِيدٍ حَازَ أَفْعَلَ تَفْ ضِيلٍ رَجَاءُ الْبَرَايَا يَوْمَ مُزْدَحَمِ(53)

قرر الشاعر في هذين البيتين أن الرسول-ﷺ-حاز ما حازه من ربه سبحانه وتعالى، من الاصطفاء المطلق، حيث جعله الله خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين، وحاز كل أنواع الفضل والخير، سواء ما خصه به ربه فعرفناه ظاهرا وتلمسناه من سيرته، أم خصه به ربه من تعظيم واحترام وجهلناه باطنا، ثم استخدم كلمة (**لكن**) التي في الأصل تدل على الاستدراك، ولا يريد الشاعر ذلك المعنى، وإنما أراد التأكيد أنه-ﷺ-لا يماثل ولا يجارى في أي من الأخلاق التي خصه بها رب العلى، من تواضع، وخشوع، وحياء، ثم أردف قائلا: (**من كل وصف...**)، ويعني ذلك أنه-ﷺ-حاز قصب السبق في كل خلق يتصف به الإنسان، بل فضل على جميع الخلق خلقا وخلقا.

ثم انخلع الشاعر من الإجمال فبدأ يشير إلى بعض أخلاقه الحميدة، التي تتخذها أمته مصباحا تستنير به، اقتداء واتساء به-عليه السلام-فقال: من **[البسيط]**

وَكَانَ أَشْجَعَ أَسْخَى النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ خَلْقاً وَخُلْقاً وَخَيْرَ الْخِزْبِ وَالأُمَمِ

مَا كَانَ تَحْتَاجُ تَبْيِيناً شَجَاعَتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ سَائِلْ لَيْلَ فَزْعِهِمِ

كَانُوا إِذَا احْمَرَّ بَأْسٌ يَتَّقُونَ بِهِ وَقَدْ بَدَتْ فِي حُنَيْنٍ غَايَةُ الْقُدُمِ[54]

هنا يرسم الشاعر صورة مجملة من أخلاقه، ففي البيت الأول تتمثل الصورة في كونه أشجع الناس على الإطلاق، وأسخاهم طرا، وأحسنهم خلقا وخلقا، زد على ذلك أنه خير الناس والأنبياء صحابةً، وأفضلُهم أمة، قال تعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}**[55]. "فهو-ﷺ-بلا ريب أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم، وأعلمهم، وأشجعهم، وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة"[56].

ثم كر الشاعر على البيت الأول ليرسُمَ صورة أخرى بطوليةً لشخصيته المتفردة بالفروسية النادرة، التي لن توجد لدى أحد من البشر، فقد كان-ﷺ-أشجع من في الأرض إطلاقاً، ومَثَّلَ لشجاعته بموقفين، موقف ليلةِ فَزَعِ أهل المدينة الذي يَرْويهِ أنس مالك-رضي الله عنه-قائلا: "كَانَ النَّبِيُّ-ﷺ-أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ-ﷺ-رَاجِعًا، قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَاسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا"[57].

ولا يخفى على دارس متأمل ما في هذا الموقف من جانب إنسانيّ، يحق على كل سلطان قائد أن يتأمله للتأسي به، ذلك أنه-ﷺ-رئيس الدولة (**المدينة المنورة**) فينغي له أن يُوَطِّنَ أركان الأمن، ودعائم

السلام في ربوعها، ولذلك لما حزبهم هَمٌّ، كان أول من خرج ليعرف ما يَرُوعُ سكانَ المدينة، فيتصدى له إن كان خطرا عليهم، قبل أن يتعداه إليهم، وهذا يدل دلالة قاطعة أنه-ﷺ-قائد مثالي، يقي شعبه البأس والضر في الدنيا، وفي الآخرة لمن تبع ملته، واقتفى أثره.

والموقف الآخر في غزوة حنين لما تولَّى عنه الصحابة مدبرين، وقد أعجبتهم كثرة أعدائهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكان "من أروع المشاهد الدالة على شجاعته-ﷺ-ما أظهره-ﷺ-من الثبات، وربط الجأش، والسيطرة على الموقف، مع شدة الهول، وتدهور أوضاع جيشه؛ فتصرف بقوة ربانية عديمة المثال، حتى استعاد الموقف لصالح جيشه-ﷺ-يوم حنين، حين انهزم جنده، وثبت هو-ﷺ-أمام جيش الكفر، وصمد مع زمرة قليلة من أهل بيته، وخلص أصحابه، ونزل من بغلته، ثم قبض من تراب الأرض قبضة، ثم استقبل بها وجوههم، فقال: "شاهت الوجوه" فما خلق الله تعالى منهم إنسانا إلا ملأت عينه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين"[58].

وهذا يؤكد تماما ما قاله الشاعر: **(كانوا إذا احمر بأس يتقون به)**، فهو-ﷺ-كان-بعد الله-الملجأ الوحيد الذي يلوذ به الصحابة عندما تشتد عليهم وطأة الأعداء، وشدة كرورهم عليهم، ولذلك وصفه علي بن أبي طالب قائلا: "إنَّا كُنَّا إذا اشتد البأسُ، واحْمرَّت الحَدَقُ اتقينا برسول الله-ﷺ-فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدو منه، ولقد رأيتُني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي-ﷺ-وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً"[59]. وقد وصفه شاعره حسان بن ثابت-رضي الله عنه-قائلا: من **[البسيط]**

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَاذِيِّ يَقْدُمُهُمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ

مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ رَكَّابٌ لِمَا قَطَعُوا إِذَا الْكُمَاةُ تَحَامَوْا فِي الصَّنَادِيدِ[60]

ومثل هذا الوصف من حسان بن ثابت يتجلى أيضا في بعض قصائد الشاعر، فيجده الدارس يقول في لاميته: **[الطويل]**

وَكَمْ نَصَبُوا مَرْحَاهُمُ لِنَبِيِّنَا وَدَقَّهُمْ فِيهَا الرُّؤُوسَ رَسُولُ

وَأَجْرَوْا لَهُ الْبَحْرَ الْخَمِيسَ فَخَاضَهُ بِرِجْلٍ لَهُ الْبَحْرُ الْعَمِيقُ ضُحُولُ[61]

وقال أيضا بعد أن وصف الصحابة وبسالتهم في أبيات: من **[الطويل]**

وَيَقْطَعُ بَحْرَ الْمَوْتِ فُلْكُ يَسِيرُ بِهِمْ نَصْرُ الإِلَهِ قَبُولُ

وَيَقْدُمُهُمْ بَدْرٌ مُنِيرٌ إِنَارَةً وَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الطُّلُوعِ أُفُولُ[62]

والبيت الأخير مطابق للمعنى الذي وصف به حسان النبي-ﷺ-على أنه المقدام غير الْمُحْجِمِ، وهذا الخلق الرفيع ينبغي أن يتوافر لدى كل قائد مسلم، سواء يخوص الحروب الفكرية، أم العلمية، أم السياسية، ما دام أنه يدين بدين الإسلام، فيجب عليه الاقتداء بالنبي-ﷺ-في أخلاقه، وصفاته، وخاصة التي كانت تتجلى في المواقف الصعبة مثل التي ذُكِرَتْ سالفا، فهو-ﷺ-ليث تقاصرت دونه الليوث.

ومن مشاهد أخلاقه-عليه السلام-رحمته ورأفته، التي تتجلى في كل موقف، كيف لا وقد وصفه القرآن الكريم قائلا: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}**[63]. فإذا كان الله سبحانه قد أفرد رحمته-ﷺ-بالذكر في القرآن الكريم، فلا غَرْوَ أن يتغنى الشعراء بهذا الخلق الرفيع الذي لا يستغني عنه أي إنسان يدب على وجه هذه البسيطة، يقول: **[الوافر]**

حَنَانٌ بَلْ حَنَانٌ بَلْ حَنَانٌ حَنَانٌ بَلْ حَنَانُ أَخِي الْحَنِينِ

وَسُنَّتُهُ تُخَجِّلُ مِنْ بُدُورٍ وَلاَ تَطْلُبْ لِهَذَا مِنْ حَنِينِ

شَفِيقٌ كَانَ أُمَّتَهُ رَحِيماً وَلَيْسَ لَهُ الْمُشَابِهُ مِنْ حَنِينِ[64]

هنا يذكر الشاعر جملة من الأخلاق النبوية، وأهمها رحمته وشفقته التي ذكرها الشاعر أكثر من مرة في هذه الأبيات، في كلمة (حنان) الثانية، و(أخي الحنين)، وأما في البيت الأخير فالكلمات فيها واضحة جلية.

فقد صور الشاعر النبي-ﷺ-، وجعله عين الرحمة ومصدرها، وهو أمر طريف، ذلك أن الشاعر راجَعَ هذا الخلق في سيرته-ﷺ-وما تمثل فيه من مواقف، فوجد أن أحسن صورة تجسد هذا الخلق الرفيع، أن يقول إنه-ﷺ-عين الرحمة دون مبالاة، وهو أمر سائد سائغ في العربية.

ثم إن الدارس واجد الشاعرَ ينفي أن يكون للنبي-ﷺ-مثيلٌ في الرحمة وذلك في الكلمة الأخيرة من البيت الأخير، وهذا المعنى كله مأخوذ من القرآن الكريم، ومن أحاديثه الشريفة-عليه السلام-"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً"[65]. ورحمته-ﷺ-شملت البشر مسلمهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، وإنما تعدَّتِ البشر إلى الحيوانات جمعاء، فهي رحمة "لا تعرف التخصيص بالدين، أو الوطن، ولا فرق عندها بين الرفق بالإنسان والحيوان"[66]. ولَعَمْرِي إنَّ هذا خلق ينبغي أن يُجَسَّدَ فِي صُورَةٍ زَاهيةٍ مردوفَةٍ بالمواقف التي تجلى فيها؛ ليتربى عليه الناس؛ فينشروا التحابب والتعاطف بينهم في العالم أجمع، وتنتفي الأضغان من قلوب البشرية جمعاء.

والحق الذي لا مراء فيه أن أخلاقه-ﷺ-ربانية داخلة في معجزاته، وليست أمرا مكتسبا بالاجتهاد والتطبع، وإنما هي فطرة جبله الله عليها خارقةً للعادة، فـ "اجتماع الفضائل في شخص واحد،

مع عدم التكلف أمر خارق للعادة؛ لأن الإنسان خلقت فيه شهوات لا يمكن أن يردها إلى حد الاعتدال من غير إفراط أو تفريط، إلا إذا عَوَّدَ نَفسَهُ سِنينَ عديدة، واجتهد وقد لا يستطيع"[67]. والمتتبع لكتب السيرة، وقصائد الشعراء يتلمس ذلك، وخاصة عندما تُرْدَفُ على تلك الأخلاق النبيلة بعضُ الأحداث التي انتشرت فيها أعلام خصاله الحميدة، وخلاله المجيدة، خفاقَةً واضحةً، تصبح منارة لمن أراد الاهتداء.

ثالثا: معجزاته

لم يكتف مادحو النبي-ﷺ-بذكر صفاته الخلقية والخلقية التي مر ذكر بعضها بإيجاز، غير أنهم اعتنوا بالإرهاصات والمعجزات اعتناء كبيرا؛ ذلك أنها هي صفات خصه الله سبحانه وتعالى بها دون غيره من الخلق إلا معجزات ظَهَرَتْ للأنبياء السابقين، غير أن معجزاته-ﷺ-فاقت كل معجزة كما قال الإمام البوصيري: من **[البسيط]**

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقِدَمِ

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ مِنَ النَّبِيئِينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ[68]

وقد أعطاه الله سبحانه تلك المعجزات، واختصه بها؛ "لتكون له آية ودليلاً على صدق نبوته ورسالته، ذلك؛ لأن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الأمور الخارقة للعادة، وللسنن الجارية في الحياة الطبيعية، والصفات التي فضل الله بها نبينا-ﷺ-عديدة لكن نختصرها"[69] على بعض مما وجدناه سائدا منتشرا في ثنايا كتابات الشيخ الحاج مالك سي الشعرية، وقد تحدث الشاعر عن معجزاته-ﷺ-قبل الولادة، وأثناءها وبعدها إلى أن أرسل رحمة للعالمين، غير أن الباحث يرى الاكتفاء بذكر بعض المعجزات التي وقعت بعد بلوغه سن الرشد والتبليغ، فمنها:

1- القرآن الكريم

إن ذكر القرآن الكريم مُجْملاً أو مُفصَّلاً، غَيْرُ واردٍ بكثرةٍ في مدائح الشيخ الحاج مالك سي، فلا يكاد الدارس يجده إلا في تائيته وميميته، أما القصائد الأخرى فخالية عن ذكر أكبر معجزة أعطيت للنبي-ﷺ-، غير أن ما ذكره في الميمية كافٍ؛ ذلك أن القرآن ظاهر ظهور نار القرى، فلا يضر الشاعر إن لم يتطرق إليه في كتاباته اعتقادا منه، أن ما يذكره ويفصله من الأخلاق تفسير وتعبير عما في القرآن من معجزات. يقول-رحمه الله-بعد أن ذكر في أبيات أن له-ﷺ-ما يقارب ثلاثة آلاف معجزة، غير أن القرآن كان أعظمها: من **[البسيط]**

كَفَى الْقُرَانَ الَّذِي يَغْدُو بِهِ الْفُصَحَا ءُ اللُّسْنُ فِي بَكَمٍ وَالْبَهْتِ وَالصَّمَمِ

وَأُحْكِمَتْ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ كَلِمَا تُهُ بِهِ حَارَتِ الأَحْلاَمُ لِلشُّهُمِ

وَكَانَ خُلْقَ نَبِيِّ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ خُلْقٌ سِوَاهُ فَفَاقَ الْكُلَّ فِي الْكَرَمِ

وُجُوهُ إِعْجَازِهِ أَعْيَتْ مُعَارِضَهُ وَأَمْرُ الاِعْجَازِ فَاتُوا جَا مِنَ الْحَكَمِ[70]

إن الدارس واجد في هذه الأبيات أن الشاعر يشيد بالقرآن الذي أعظم دلالة على نبوته–ﷺ– الذي لا ريب فيه هدى للمتقين، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد حوى في دفتيه جملة من الأحكام، والأخلاق، وقد وجهت الدلائل إلى أنه ليس كلام إنس ولاجن، وقد شهد بذلك كفار مكة، بعد أن ظنوا أن الذي يوحي إليه–ﷺ–رجل أعجمي، **{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}**[71]، ففيه دليل قاطع على أن النبي–عليه السلام–مرسل من عند الله، وأن همه–ﷺ– لم يكن جمع مال، ولا نيل جاه أو سلطان، وإنما كل ما كان يقوم به من تبليغ الدعوة، وتعليم الناس ما جاء في الكتاب من الأحكام والآداب، إنما ذلك كله تطلع إلى الدار الآخرة الخالدة، وترقب ليوم الجزاء، فدل أنه–ﷺ–لم يكن شخصا عاديا؛ لأنه لو كان كذلك لَهَمَّ بجمع جموعٍ غفيرة، وأموالٍ طائلةٍ تكون تحت حكمه وسيطرته، كما هو شأن بعض العوام.

وقد لمح الشاعر إلى أن وجوه إعجاز القرآن كثيرة لا تعد، بيد أن أبرزها كونه لا يناله تحريف ولا تبديل؛ لأنه محفوظ من الله، وأنه أخرس العرب الفصحاء، وألجمهم السكوت، فلم يستطيعوا مجاراته في أسلوبه الرباني، ولم يقدروا أن يأتوا بكلمة واحدة على نسق القرآن بلاغةً وأسلوبًا، وقد خضعوا لأسلوبه، وأقروا بأنه ليس بكلام بشر، وقصة الوليد بن المغيرة غير بعيدة.

وقد أشار الشاعر بطرف خفي في البيت الأخير إلى آيات التحدي الواردة في القرآن في مراحل متعددة، ثم أدركوا أنهم لا يستطيعون مجاراته، أو يأتون بسورة مثله.

وإذا كان القرآن الكريم هو المعجز البيان، وكله أخلاق وأحكام وآداب، فليس غريبا أن يكون نبي الإسلام شخصا لافتا للنظر، يدعو إلى التوقف على سيرته، وحياته، وتأمل أخلاقه وصفاته، فقد كان القرآن الكريم خلقه، "عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ–ﷺ– فَقَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"[72].

وهذا القرآن الكريم الذي تتمثل فيه أخلاق النبي–ﷺ–قد أثر في حياة، الشاعر ومنهجه في التربية والتأليف، فقد رَبَّى عليه أتباعه وطلابه، حتى في كثير من كتاباته، عندما يتحدث عما حدث في

زمانه من شطحات بعض شيوخ التصوف، يجده الدارس يربط ما يسمى بالأسرار والباطن، والكشوفات بالقرآن والسنة.

2- الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج من الفضائل التي استأثر بها النبي-ﷺ-دون غيره من الأنبياء، ذلك لما توفي عمه أبو طالب وخديجة أم المؤمنين في عام واحد، وكانا سندين قوين له في تبليغ دعوته، أسرى به الله إلى فوق السماوات العلى، قال تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**(73)، والإسراء لم يذكر كثيرا في شعر الصحابة، ذلك أن الحدث وقع في زمن لم يكن للإسلام آنذاك شعراء يدافعون عنه، ويتحدثون عن أموره الخوارق، غير أن شعراء المديح أكثروا من ذكره في خبايا أشعارهم، ومنهم الحاج مالك سي، فلا يكاد الدارس يجد قصيدة نبوية له إلا وذكر فيها الإسراء والمعراج، يقول: من **[الوافر]**

رَقَى فَوْقَ الْبُرَاقِ إِلَى السَّمَاءِ وَدَانَ لَهُ الْمَلاَئِكُ أَيَّ دِينِ

وَفِي الإِسْرَاءِ قَالُوا غَيْرَ هَزْلٍ رَأَى الْمَوْلَى فَقَطَّفَ خَيْرَ دِينِ

عَلَيْنَا الْحَمْدُ حَمْدًا قَرَّ حِينًا شَفَى عَيْنُ الْمُشَفَّى كُلَّ دِينِ(74)

ولعل كون الإسراء أمرا خارقا للعادة لا يدركه العقل المجرد، ولا يؤمن به إلا من له حظ من الإيمان والإسلام، ما جعل الشاعر الشيخ الحاج مالك سي، يكثر من ذكره في قصائده؛ ليسهم بدوره في تثبيت هذا الحادثة في نفوس الناشئة، قبل أن تتخطفهم أيادي المنكرين للإسراء، وقد أثبته القرآن.

يقول: من **[الطويل]**

وَجَازَ الطِّبَاقَ السَّبْعَ مَوْلَاهُ زَائِرًا وَكَانَ لَهُ قَبْلَ الْعُطَاسِ قُفُولُ

وَمَا أَمَرَ الْمَوْلَى لَهُ خَلْعَ نَعْلِهِ كَذِي الْوَادِي قُلْ هَذَا سِوَاهُ مَثِيلُ(75)

وواضح أن الشاعر ذكر الإسراء؛ ليلوح إلى أفضليته-ﷺ-على جميع الخلق، وأنه لا يوجد له مثيل في هذه البسيطة؛ لأن هذه المكانة عند الله لم ينلها الأنبياء السابقون، ولم يصل إليها ملك مقرب، وأنه لم يؤمر بخلع نعله، كما أمر موسى-عليه السلام-بذلك، فدل على أن الإسراء والمعراج في جزء قليل من الليل من معجزاته التي تقف لها العقول حائرة.

3- انشقاق القمر

إن انشقاق القمر من أهم المعجزات التي أيد الله بها نبيه-ﷺ-وقد تحدث عنه القرآن الكريم، فقال: **{اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}**(76) قال ابن جرير الطبري: "وقوله وانشق القمر يقول جل ثناؤه: وانفلق القمر، وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله-ﷺ-وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم-ﷺ-انشقاق القمر، آية وحجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته; فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه **"وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ"**(77)، فعميت أبصار الكفار عن رؤية الحق الواضح، وقد أكد القرآنُ تماديَهُمْ في إنكارِهم، غير أن المسلمين جميعا منذ وقوعه إلى يوم الناس هذا، يؤمنون به، ويتحدثون عنه في كتاباتهم، وقد أشار إليه الشاعر في كثير من الأبيات يقول: من **[الطويل]**

وَشُقَّ لَهُ بَدْرٌ جَزَاءً لِقَلْبِهِ وَلَيْسَ بِظَلَّامِ الْعِبَادِ جَلِيلُ(78)

وقال أيضا: من **[الكامل]**

وَانْشَقَّ بَدْرٌ إِذْ تَمَنَّى خَائِباً لِيَكُونَ مِنْ خُدَّامِ خَيْرِ كِرَامِ(79)

هذان البيتان وغيرهما مما ورد في ذكر معجزة انشقاق القمر، يبرهن فيها الشاعر على وقوع تلك المعجزة للنبي-ﷺ-، فكانت دليلا قاطعا على صدقه وصدق رسالته؛ لأن الله أيده بذلك، بل إنما جعل الشاعر القمر المنير خادِمًا للنبي-ﷺ-، حيث إنه-عليه السلام-سأل الله أن يشق له البدر، فأمره مطيعا له، خاضعا لرغبته-ﷺ-.

4- معجزة الشفاء بيده الشريفة

يَذكر الشاعر هذه المعجزة في أكثر من موضع؛ ذلك أن ما حصل من نعمة الشفاء وغيره بيده الشريفة واقع في غير ما مرة، يقول الشاعر: من **[الطويل]**

أَلاَ إِنَّمَا يُمْنَاهُ سَيْفٌ وَرَحْمَةٌ بِهَا أَيْنَعَتْ قَبْلَ الأَوَانِ نَخِيلُ

بِهَا شَفَى الأَدْوَاءَ جَلَّ إِلهُنَا مِرَارًا بِهَا صَارَ السُّيُوفَ جُذُولُ

بِهَا يَرْتَوِي الآلاَفُ حَتَّى تَوَضَّأُوا وَمِنْ بَصْقِهِ الْمِلْحُ الأُجَاجُ زُلُولُ(80)

هنا يجسد الشاعر صورة النبي-ﷺ-في شفاء الأدواء بيده الشريفة، فيجعل يمناه-عليه السلام- نعمة للمؤمنين، ونقمة للكافرين، وقد حدث بها شفاءُ كثيرٍ من الأدواء منها: ما في الحديث "عن ابن عباس: أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله-ﷺ-، فقالت: يا رسول الله، إن ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا، فيأخذه؛ فيَخْبُثُ علينا؛ فمسح رسول الله-ﷺ-صدره، ودعا، فثَعَّ ثَعَّةً فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى"[81].

وفي هذه الأبيات تلميحات لكثير من الأحداث والعجائب التي حدثت بكفه الشريفة-عليه السلام-من إرواء آلاف العطاش من الصحابة-رضوان الله عليهم-، وإشباعهم، وتحويل الخشبة إلى سيف قاطع، يحمله أحد أصحابه.

وكل هذا دليل على أنه-ﷺ-كله كان خيرا لأمته، ونعمة لهم، فقد عاش معهم، وعالج قضاياهم بما آتاه الله سبحانه وتعالى من قدرة، وما زال المسلمون إلى يوم الناس هذا ينتفعون بتعاليمه النبوية، ويستحضرون ما وقع له من معجزات ليقوى بها إيمانهم في كل آن ومكان.

رابعا: الغزوات

أما غزاته-ﷺ-فقد تحدث عنها الشعراء، تارة بصورة ملحمية، تذكر فيها بطولاته وفروسيته، وشجاعة الصحابة وإقدامهم في ميادين الحروب الضارية، ولم يتخلف الشاعر الشيخ الحاج مالك سي عن ركب من ذكر وتحدث عن الغزوة، فيراه الدارس يعَدِّدُ الغزوات دون وقفة أو إخراج صورة أسطورية خيالية منها، ذلك بعد أن مهد أن تلك الغزوات لم تكن لقتل النفوس، وجرح القلوب، وإنما كان لصد عدوان، كما قال أحدهم: من **[الطويل]**

لأَنَّ النَّبِيَّ الْهَاشِمِيَّ الدَّهْرَ مَا غَزَا بَلَى صَدَّ عُدْوَانًا وَرَدَّ ضَلاَلاَ[82]

هذه الفكرة القائلة بأن غزواته-عليه السلام-كلها كانت عبارة عن هداية الناس إلى دين الإسلام، هي ما رآها الشاعر الشيخ الحاج مالك سي؛ فيجسد تلك الغزوات، بصورة، ربما لم يسبق إليها يقول:

(وَكَا27) مَغَازِيهِ (يَهْدِي29) (مُبْرِداً) عَلَى خِلاَفٍ أَتَانَا مِنْ ذَوِي الْقَدَمِ

أَبْوَا بُوَاطٌ عُشَيْرٌ ثُمَّ غَزْوَةُ سَفْوَانٍ وَبَدْرُ قِتَالٍ مَعْ

الملاحظ للبيت الأول العالم بعلم حساب الجمَّلِ، يَجِدُ أن الشاعر يشير إلى الخلاف الذي دار بين علماء السيرة في عدد غزواته-ﷺ-لكنه في الوقت نفسه يريد أن يلفت نظر القارئ المتمعن إلى أنه لا يرمي إلى تعداد هذه الغزوات فحسب، بل يشير بطرف خفي إلى حكمة هذه الغزوات، والمرامي التي تنشدها.

فإذا راجعنا معاني هذه الكلمات نجد أن (**وكاء**) هي "الشَرِيط الدقيق أو السَيْر الوثيق، يُوكَى به فمُ القِرْبة والمزَادة"[(84)]، فقد حذفت منها الهمزة لإقامة الوزن الشعري، أما بقية الكلمات فمكشوفة مَجْلُوَّةٌ لكل دارس للعربية.

ومعنى البيت: "أن مغازيه-ﷺ-التي خرج فيها بنفسه سبع وعشرون، وقيل: بل تسع وعشرون، وقيل أيضا: هي ست وعشرون"[(85)]، وهي بمثابة القربة التي يسقى بها الصادي المتعطش إلى ماء بارد، فهي سقاء يثلج كبد الحيران الظامئ، كما أن الغزوات في الأصل وسيلة لإدخال الناس إلى الإسلام. ولذلك تجد أن الشاعر يريد بالوكاء التي هي خبر لـ(مغازيه) القربة، فيكون مجازاً مفرداً مرسلا علاقته الجزئية؛ إذ (الوكاء) جزء من القربة، والقرينة هنا هي (مغازيه).

وقد يتخيل إلى القارئ أن هذه الكلمات يراد بها ضبط الحساب، فيراوده المعنى القريب لها، لكن الشاعر يريد معنى أبعد من هذا، وإلا لكانت هذه الألفاظ حشوا لا غير. وهنا يتجلى أن الشاعر ضمن في البيت تورية.

ويظهر الشاعر حينا آخرا ليذكر غزواته-ﷺ-موضحا أنه كان يقدم الصحابة، ويرأسهم وينزل معهم في ميدان المعركة محاربا، سالاً سيفه، ويذكر أيضا بطولات الصحابة الذين تتمثل فيهم صورة النبي-ﷺ-لأنهم كانوا نسخة أصيلة من تعاليمه، وأخلاقه، يقول: من **[الطويل]**

هُمُ أَنْجُمٌ يَسْتَلْئِمُونَ عَلَى الأُلَى لَهُنَّ لَدَى قَلْبِ الْجُيُوشِ جَؤُولُ

يَعَابِيبُ قَبْلُ يَرْتَجِزْنَ مَرَاحِياً لَدَى خَفْقِ رَايَاتٍ وَمُدَّ نُصُولُ

إِذَا الْتَطَمَتْ أَمْوَاجُ جَيْشٍ تَمَايَلَتْ أَمَاماً أَمَاماً وَالْخُيُولُ خُيُولُ

هِيَ السَّابِحَاتُ الصَّافِنَاتُ وَسُوقُهَا خَوَاضِبُ مَا فِي جَمْعِهِنَّ مُلُولُ

وَيُورِينَ قَدْحاً حَامِلَاتٍ فَوَارِسًا قَسَاوِرَ رَبْدًا لِلْأُسُودِ تُغِيلُ

وَيَقْطَعُ بَحْرَ الْمَوْتِ فُلْكُ يَقِينِهِمْ يَسِيرُ بِهِمْ نَصْرُ الإِلَهِ قَبُولُ

وَيَقْدُمُهُمْ بَدْرٌ مُنِيرٌ إِنَارَةً وَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الطُّلُوعِ أُفُولُ[(86)]

جعل الشاعر ميادين الحروب بحورا تتدفق منها أمواج جيوش متلاطمة كثرةً وكثافةً، وجعل الصحابة الغواصيين لأعماق حياض الموت التي لا يثنون عنها مرةً، وإنما يقدمون إليها إقدامَ الأَتِيّ، وهو معنى مأخوذ من قول كعب بن زهير في لاميته: من **[البسيط]**

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ مَا إِنْ لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ[87]

وليس غريبا أن يذكر الشاعر الصحابة؛ لأنه من المستبعد ذكر صورة النبي-ﷺ-المختلفة الأشكال والألوان، دون استحضار شخصيات الصحابة-رضوان الله عليهم-.

وهكذا يجد الدارس صورة النبي-ﷺ-حاضرة جلية في كتابات الشيخ الحاج مالك سي، بأضرابها المختلفة، ولعل ما ذكر من النماذج كافية مع قلتها؛ لكون ورقة البحث تضيق للتفاصيل.

خاتمة

بعد هذه السياحة العلمية التي حاول فيها الباحث الوقوف على صورة النبي-ﷺ-في كتابات الشيخ الحاج مالك سي، الذي يعد من أشهر الذين كتبوا في المديح النبوي، وحاولوا تشخيص شخصيته البارزة-ﷺ-في أشعاره، توصل الباحث إلى جملة من النتائج، أهمها:

1- أن شعراء السنغال عموما تناولوا فن المديح النبوي منذ أن دخل الشعر العربي في ربوعها؛ فرسموا شخصيته-ﷺ-بصورة مختلفة.

2- أن الشيخ الحاج مالك سي يعد من الرموز الكبرى في ميدان المديح النبوي، وإن لم يكثر فيه.

3- أن الشاعر حاول في أكثر من قصيدة أن يرسم للمسلمين صورة النبي-ﷺ-بمختلف الأشكال والأنماط.

4- أن الشاعر الشيخ الحاج مالك سي ركز في تشخيص صورة النبي-ﷺ-على معجزاته، أكثر من صفاته الخلقية والخلقية، فقد أخذت المعجزات الحيز الأكبر في مدائحه النبوية.

5- أن الشاعر لم يعتن كثيرا بالصورة البلاغية في رسمه لصورته-ﷺ-المثالية، ذلك أن جل الصورة التي تناولها الشاعر جاءت كما وردت في كتب السيرة دون محاولة صنعة أدبية فيها، أو الاعتماد على الخيال.

6- ظهر من خلال الدراسة أن صورة النبي-ﷺ-تتجلى عند الشيخ الحاج مالك سي من خلال شعره التعليمي أكثر من شعره الوجداني، وخاصة في ميميته الطويلة.

توصيات

يوصي الباحث بعد وصوله إلى هذه النتائج بالآتي:

1- دعوة أدباء العرب إلى شد الرحال والتوجه إلى إفريقيا الغربية للوقوف، على تراثه الأدبي الذي حفِلَ بالمدائح النبوية الجياد، التي تساوق القصائد العربية جودةً وأُسْلوبًا.

2- محاولة التعرف على قصائد الشاعر الشيخ الحاج مالك سي، وخاصة ميميته الطويلة؛ لأن فيها قيما أدبية وعلمية، تدعو إلى الوقوف عليها، وإجراء دراسات حولها من جوانب شتى، وتحقيقات، وبالأخص التي تناولت حياة النبي-ﷺ-.

3- ترغيب وتشجيع الطلاب الأفارقة في الجامعات العربية على إجراء دراسات على الشخصيات الأدبية في إفريقيا من خلال رسائلهم العلمية؛ لِيَسُدُّوا ثغرة في المكتبات الإفريقية والعربية.

4- إقامة ندوات ومؤتمرات ومسابقات دولية في التعريف بصورة-ﷺ-شعرا ونثرا، وتشجيع المواهب الشبابية على ذلك، وتلويتها إلى خدمة صورته المثالية-ﷺ-.

.....

الهوامش

[1]- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، محمود سالم محمد، المدائح النبوي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م، ص: 12.

[2]- في الصورة الشعرية، دراسة تطبيقية على شعر الحبس في تراث المشرق العربي، دكتور صلاح حفني، مكتبة دار العلوم، الفيوم، الطبعة الثانية: 2006م، ص: 19-20.

[3]- لسان العرب، ابن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د، ت)، ج4، ص: 471.

[4]- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الفنون المطبعية، الجزائر، (د، ط)، 1988م، ص: 74.

[5]- الصورة والتصور والتصوير، أستاذ الحوماني، مجلة الرسالة، المجلد الثاني، السنة الثانية، العدد 64، تاريخ 1934/09/24م، ص: 175.

[6]- النهاية في غريب الأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د، ط) سنة: 1399هـ-1979م، ج2، ص: 122.

[7]- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1995م، ص: 368.

[8]- الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1981م، ص: 319.

[9]- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، ص: 10.

[10]- مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د، ط)، سنة: 1982م، ص: 39-40.

[11]- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، 1985م، ص: 242.

[12]- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الثانية، 1996م، ص: 11.

[13]- السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي—دراسة تحليلية ومنقحة-تأليف: عثمان انجاي، دار المقطم للنشر والتوزيع-القاهرة-الطبعة الأولى، 2011م، ص: 15.

[14]- مجهول الأمة السنغالية، تأليف: الشيخ أحمد التجاني سي، الطبعة الثانية،2010م، ص: 24.

[15]- السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 15.

[16]- مجهول الأمة السنغالية، مصدر سابق، ص: 14.

[17]- تحرير الأقوال في تاريخ السنغال، (من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين)، تأليف: أحمد التجاني الهادي توري، دار المقطم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1430هـ 2009م، ص: 421.

[18]- السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 18.

[19]- المصدر نفسه، ص: 15-18.

[20]- لا بد من فلا بد دراسة علمية صوفية لقصيدة العارف بالله الشيخ سيدي الحاج مالك سي، تأليف: شيخ تجاني غي، لوغا، السنغال، الطبعة الأولى: 2006م، ص: 7.

[21]- أعلام الهدى بغرب إفريقيا، تأليف: محمد جوف البرني، السنغال، الطبعة الأولى: 1999م، ص: 159.

[22]- مجهول الأمة السنغالية، مصدر سابق، ص: 19.

[23]- المصدر نفسه، ص: 20.

[24]- السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 19.

[25]- المصدر نفسه، ص: 20.

[26]- أعلام الهدى بغرب إفريقيا، مصدر سابق، ص: 161.

[27]- تحرير الأقوال في تاريخ السنغال، مصدر سابق، ص: 423.

[28]- التصوف والطرق الصوفية في السنغال، تأليف: خديم محمد سعيد امباكي، معهد الدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، (د، ت)، ص: 64.

[29]- التصوف والطرق الصوفية في السنغال، مصدر سابق، ص: 63.

[30]- السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 18.

[31]- أعلام الهدى بغير إفريقيا، مصدر سابق، ص: 160.

[32]– لا بد من فلا بد، مصدر سابق، ص: 13.

[33]– مجهول الأمة السنغالية، مصدر سابق، ص: 26.

[34]– التصوف والطرق الصوفية في السنغال، مصدر سابق، ص: 65.

[35] – تحرير الأقوال في تاريخ السنغال، مصدر سابق، ص: 424.

[36]– تحرير الأقوال في تاريخ السنغال، مصدر سابق، ص: 423.

[37]– لا بد من فلا بد، مصدر سابق، ص: 11.

[38]– المصدر نفسه، ص: 12.

[39]– حسان بن ثابت حياته وشعره، إحسان، دار الفكر الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، 1965، ص: 173.

[40]– خلاص الذهب في سير خير العرب، تأليف: الشيخ الحاج مالك سي، رفسك، السنغال، (د، ط)، (د، ت)، ص: 56.

[41]– السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1344هـ، ج7، ص: 422.

[42]– الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 – 1987م، ج11، ص: 387.

[43]– ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مطبعة تونس الأهلية، الطبعة الأولى: 1333هـ، ص: 198.

[44]– خلاص الذهب في سير خير العرب، مصدر سابق، ص: 57.

[45]– الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 – 1987م، ج3، ص: 39.

[46]– شخصية الرسول–ﷺ–في شعر صدر الإسلام، إعداد: منور بن محمد بن صالح الحربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، في الأدب، جامعة مؤتة 2009، ص: 51.

[47]– ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 198.

[48]– سورة التكوير، [الآية: 21].

[49]– المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، سنة: 1404 – 1983م، ج1، ص: 331.

[50]– الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، سنة: 1409 هـ– 1988م، ج1، ص: 134.

[51] – ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 197.

[52] – محمد–ﷺ–في شعر النصارى العرب، تقديم محمد عبد الشافي القوصي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1432هـ–2011م، ص: 31.

[53]– خلاص الذهب في سيرة خير العرب، مصدر سابق، ص: 62.

[54]– المصدر نفسه، ص: 62–63.

[55]– سورة آل عمران، [الآية: 110].

[56]– المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت)، ج2، ص: 136.

[57] – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مصدر سابق، ج1، ص: 116.

[58]– نيل الأرب من خلاص الذهب، تأليف: محمد سعيد بن الشيخ الحاج أحمد التجاني بن أبي بكر باه–دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت، لبنان–، الطبعة الثانية: 2013م، ج3، ص: 274.

[59]– نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تأليف: محمد بن عفيفي الخضري، تحقيق: هيثم هلال، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1425هـ–2004م، ص: 215.

[60]– ديوان حسان بن ثابت، مصدر سابق، ص: 55.

[61]– ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 257.

[62]– المصدر نفسه، ص: 258.

[63]– سورة الأنبياء، [الآية: 107].

[64]– ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 83.

[65]– صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ج4، ص: 2006.

[66]– أخلاق وصفات وشمائل الرسول، عبد الحكيم منصور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 60.

[67]– محمد–ﷺ–تأليف: محمد رضا، عناية ومراجعة: أحمد عوض أبو الشباب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، سنة: 1427هـ–2006م، ص: 410.

[68]– بردة المديح، للإمام البوصيري، منشورات دار التراث البوديلمي، (د، ط)، (د، ت)، ص: 15.

[69]– شخصية الرسول–ﷺ–في شعر صدر الإسلام، مرجع سابق، ص: 99.

[70]– خلاص الذهب في سيرة خير العرب، مصدر سابق، ص: 59–60.

[71]– سورة النحل، [الآية: 103].

[72]- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1420هـ 1999م، ج42، ص: 183.

[73]- سورة الإسراء، [الآية: 1].

[74]- ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 81.

[75]- المصدر نفسه، ص: 257.

[76]- سورة القمر، [الآية: 1-2].

[77]- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ-2000م، ج22، ص: 565.

[78]- ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 256.

[79]- ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 199.

[80]- المصدر نفسه، ص: 256.

[81]- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، (د، ط)، سنة: 1404-1983م، ج12، ص: 57.

[82]- سير القلب، بمدح مصطفى الحب إلى حضرة الرب، الشيخ إبراهيم نياس، مكتبة النهضة، السنغال، (د، ط)، (د، ت)، ص: 22.

[83]- خلاص الذهب في سيرة خير العرب، مصدر سابق، ص: 32.

[84]- تهذيب اللغة، تأليف: أبي منصور محمد بن محمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة الأولى: 2001م، ج2، ص: 35.

[85]- نيل الأرب من خلاص الذهب، مصدر سابق، ج1، ص: 351.

[86]- ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مصدر سابق، ص: 258.

[87]- ديوان كعب بن زهير، شرح وتحقيق، الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، سنة: 1417هـ-1997م ص: 67.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- الاتجاه الوجداني في الشعر المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 1981م.

3- أخلاق وصفات وشمائل الرسول، عبد الحكيم منصور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 2007م.

4- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة، 1985م.

5- أعلام الهدى بغرب إفريقيا، تأليف: محمد جوف البرني، السنغال، الطبعة الأولى: 1999م.

6- بردة المديح، للإمام البوصيري، منشورات دار التراث البوديلمي، (د، ط)، (د، ت)، ص: 15.
7- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الثانية، 1996م.
8- تحرير الأقوال في تاريخ السنغال، (من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين)، تأليف: أحمد التجاني الهادي توري، دار المقطم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1430هـ 2009م.
9- التصوف والطرق الصوفية في السنغال، تأليف: خديم محمد سعيد امباكي، معهد الدراسات الإفريقية، الطبعة الأولى، (د، ت).
10- تهذيب اللغة، تأليف: أبي منصور محمد بن محمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة الأولى: 2001م.
11- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ-2000م.
12- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة: 1407 – 1987م.
13- حسان بن ثابت حياته وشعره، إحسان، دار الفكر الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، 1965م.
14- حسان بن ثابت حياته وشعره، إحسان، دار الفكر الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، 1965
15- خلاص الذهب في سير خير العرب، تأليف: الشيخ الحاج مالك سي، رفسك، السنغال، (د، ط)، (د، ت).
16- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1995م.
17- ديوان الشيخ الحاج مالك سي، مطبعة تونس الأهلية، الطبعة الأولى: 1333هـ.
18- ديوان كعب بن زهير، شرح وتحقيق، الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، سنة: 1417هـ-1997م
19- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1344هـ.
20- سير القلب، بمدح مصطفى الحب إلى حضرة الرب، الشيخ إبراهيم نياس، مكتبة النهضة، السنغال، (د، ط)، (د، ت).
21- السيرة الذاتية للشيخ الحاج مالك سي—دراسة تحليلية ومنقحة-تأليف: عثمان انجاي، دار المقطم للنشر والتوزيع-القاهرة-الطبعة الأولى، 2011م.
22- شخصية الرسول-ﷺ-في شعر صدر الإسلام، إعداد: منور بن محمد بن صالح الحربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، في الأدب، جامعة مؤتة 2009م.
23- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د، ط)، سنة: 1409 هـ1988م.

24- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
25- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي محمد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.
26- الصورة والتصور والتصوير، أستاذ الحوماني، مجلة الرسالة، المجلد الثاني، السنة الثانية، العدد 64، تاريخ 1934/09/24م.
27- في الصورة الشعرية، دراسة تطبيقية على شعر الحبس في تراث المشرق العربي، دكتور صلاح حفني، مكتبة دار العلوم، الفيوم، الطبعة الثانية: 2006م.
28- لا بد من فلا بد دراسة علمية صوفية لقصيدة العارف بالله الشيخ سيدي الحاج مالك سي، تأليف: شيخ تجاني غي، لوغا، السنغال، الطبعة الأولى: 2006م.
29- لسان العرب، ابن منظور المصري الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (د، ت).
30- مجهول الأمة السنغالية، تأليف: الشيخ أحمد التجاني سي، الطبعة الثانية،2010م.
31- محمد-ﷺ-تأليف: محمد رضا، عناية ومراجعة: أحمد عوض أبو الشباب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط)، سنة: 1427هـ-2006م.
32- محمد-ﷺ-في شعر النصارى العرب، تقديم محمد عبد الشافي القوصي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1432هـ-2011م.
33- المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، محمود سالم محمد، المدائح النبوي حتى نهاية العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.
34- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1420هـ 1999م.
35- المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، (د، ط)، سنة: 1404-1983م.
36- مقدمة لدراسة الصورة الفنية، نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، (د، ط)، سنة: 1982م.
37- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د، ط)، (د، ت).
38- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الفنون المطبعية، الجزائر، (د، ط)، 1988م.
39- النهاية في غريب الأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د، ط) سنة: 1399هـ-1979م.
40- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تأليف: محمد بن عفيفي الخضري، تحقيق: هيثم هلال، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1425هـ-2004م.
41- نيل الأرب من خلاص الذهب، تأليف: محمد سعيد بن الشيخ الحاج أحمد التجاني بن أبي بكر باه-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، لبنان-، الطبعة الثانية: 2013م.
42- مجاز عقلي، لأنه نسب العزم إلى الأمر، وهو لأهله، مثل «نهاره صائم»[87]